إن الأتراك قمعوا هذا الغرور ، ومشوا إلى أصحابه يؤدبونهم . غير أن الأتراك ـ مع أنهم قاموا بدور عظيم ـ سرعان ما قلدوا العباسيين وغيرهم ، فى الاستبداد السياسى ، والاستعلاء الجنسى فى القرن الأخير من حياتهم ، وهكذا رأينا القدرة على القيادة التى تبرز فى الرجال الأوائل ، تتلاشى فى الأعقاب الوارثين .

إن كل النقائص التى سبقت فى العباسيين والفاطميين تسللت إلى آل عثمان ، وكأنما كتب على الدين الحق أن يبتلى بنفر من الأدعياء ، يتسلمون زمامه ، ويشغلون الناس بعنصرهم النبيل ، وأمجادهم الموهومة . . !

وهنا يجىء سؤال لابد منه ؟ ماذا كان العرب يفعلون بعد سقوط خلافتهم فى القرن السابع ؟

إنهم يعلمون أن الإسلام لا يتعصب لجنس ، وليس بمستغرب فى منطقه أن يقود المسلمين كفء يولد فى أى قارّة ، من أجل ذلك مشوا وراء القيادة التركية يوم وقع فى يدها اللواء ، لكن الحكم الصحيح للعالم الإسلامىّ الرّحب يستحيل أن يكون مبتوت الصلة بالعروبة ، ليكن المسلم حبشيا كبلال ، أو فارسيا كسلمان ، أو روميا كصهيب ، إن أولئك جميعًا أصبحوا عربًا بإلف العربية والحياة بها ، وتذوُّق كتابها وسنة نبيّها . .

ولو أن الترك اقتدوا بالسلطان محمد الفاتح ، ونفذوا وصيته لخدموا الإسلام وخدموا أنفسهم فى آن واحد ، إنهم أرادوا تخليد اللسان التركى ، الذى لم ينزل به من بدء الخليقة وحى ! وابتعدوا عن العربية ، فلم ينالوا منها إلا نزرا يسيرًا ، وهذا نصاب من المعرفة لا يرشح لسيادة المسلمين أبدا . . وانضم إلى ذلك غرور بالقوة ، أوحى إلى الترك أن يضمُّوا بالسلاح كل أرض إسلامية ، ويفرضوا عليها سلطانهم . . .

والحق أن علل الموت شرعت تنتشر ببطء فى الكيان الإسلامى كله ، مرتقبة أى عارض من عوارض الضعف كى تستعجل له الفناء !

أكان العرب قادرين على فعل شىء ؟ أقول : كانوا قادرين على فعل الكثير لكنهم تقاعسوا . . !

من عيوب العرب الأولى حبُّهم للإمارة وتنازعهم على السلطة ، وهناك مغارم مادية وأدبية فادحة تتبع هذه العاهة ، وما ننكر أن البشر يطمحون إلى الرياسة والتصدُّر ، فهل الحكم وحده هو الطريق للإصلاح !